# مقدمة الكتاب

لئن كانت ألفاظ اللغة العربية قوالب صبّ فيها الغاوون مشاعرهم، وأبانوا فيها عن أحاسيسهم، حين خلبت الطبيعة ألْبابهم، وأهاجت وُجدانهم ـ فقد كانت ذات الألفاظ قوالب للصوفية، عبروا عَبْرها إلى ما أرادوه من معانٍ ذوقية، تتّصل بجمال ذات الله، وتَذوُّق حلاوة خمرة محبّته، والتَنعّم بطيب معرفته، والتلذّذ بجمال الأنس فى حضرته، حيْثُ الرياض، والأنهار، والمشموم. والراح، والسماع وأدواته، والولدان، والحور، والنديم ـ رموز لمعانٍ سامية، تبدَّى لهم فيها حبيبُهم وخالقُهم، فتاهوا (كما تاه الكليم به عجبًا).

لقد كان الصوفية ـ ولا يزالون ـ يرون الله فى كل شىء لاح للعين مرآه. فكلّ مليح حُسْنُه ـ عندهم ـ من جمال ذات الله، بل كل ما فى الكون من مستحْسَن فإلى الله نسْبته، وباسْمه ينطق.

لقد مَلَئُوا بحب الله سَمْعَهُم وقَلْبَهُمْ ونَاظِرَهُمْ، وكلَّهُمْ وجُزْأَهُمْ، فلم تعد كثافة المخلوقات تحجبهم عن النفاذ إلى الخالق، إذ لاشىء إلاَّ والله فيه ممثل، وإنْ بدا باحتجاب واختفى بمظاهر.

الله عنْدَ الصوفية ـ كما يقول الشيخ عبد الغنى النابلسى فى كتابه ديوان الحقائق ـ:

هـو الـركْبـانُ والْحـادى هــو الـبَّعْوُنَ والْحــادى
هــو المــعْــود والمطـرو د مــع حــقٍّ وإلحــاد
هـو المـعْدود والأعــدا د وهـو العــادّ والعـادى
هـو الأرْواح والأشبــا ح مـن أنــواع أجــاد
هـو الأفـلاك والأمــلا ك فــى مـثنًـى وآحــاد
هـو الدُّنْيــا ومـا فـيــها كـتـكـريـت وبـغــداد
هـو الأخْرى ومـا تحـوى كعُبَّــاد وزُهَّــاد
هـو البُـنْـتــان والأغصـا ن والغـدران لـلصَّـادى
هو الأزهــار والأثمــا ر وهو الـيْــل والـوادى
هو الـطّيْر الـذى غَنَّــى بـلَحْنٍ فــوق أعْــواد
هو الأعْــواد لانشـا د والمعنــى لإنـشــاد
هو المـعــروف والمجهــو ل والمخفــى والـبــادى
هو الشّمـس الـتـى لاحتْ وبدرُ الأفـقْ فــى النّـادى
هو المغــوىّ والغــاوى هو المهــدى والهــادى
هو المـدْعــو بأنْــابٍ وأنْســال وأجــداد
وأعْمــام وأخْــوال وآبــاء وأوْلاد
ثيــابٌ كُلُّهـا يـبْــدو بهـا مـن خلـف أضداد
إشــارات لــه منــه بإعْطــاءٍ وإمْــداد
علـى فــرض وتقديـر تــراءتْ بــرق إيجَادِ
وبالأمْثــال تكــرار لهــا فى شكْـل تــرداد
وعنهــا ذاتـه حـلّـت وعــزّت دون أنْــداد
وأسْمــاء لــه حُـنْــى إليــه ذات إرْشــاد
بهــا يبــدو فتدريــه ذوو التَّقْـوى أولـو الـزاد

وجـــود مطلـــق عنـــه بـــدت أشكـــال أفْـــراد
وتســـعٌ تلـــك أعـــراضٌ لهـــا ذكـــر بتعـــداد
تســـمى الكمّ مـع كيْـف وأيْـنٍ عنـــد نقـــــاد
متـــى والوضـْع مع مـلك إضافـــات بـــإِسْـنـــاد
وفعـــل وانْفـعـــال وهَـــ ـى معلومـــات إشْهـاد
تجـلّـــى ربّنـــا فـيهـــا لتقـريـــب وإبْعـــاد
فَقَـوْمٌ حَقَّقـــوا المجْلـــى بأذْكـــــار وأوْراد
وقومٌ قـدْ عَمَـــوْا عنـــه بِحرْمـــانٍ لآبـــاد[1]

إن هذا البحث الذى أقدمه للقارئ ـ هو تصوير رمزى يعكس ما أراده الصوفى فى الألفاظ التى أَلِفَ الغاوون استعمالها فى معانٍ حسِّية، فَسَما بها هؤلاء الهُداة الدُّعاة، إلى معانٍ إشاريّة حَبَّبُوا بها الناس فى الله، ودَعُوهم إليه، وشوّقوهم لمجالس الأنس به ـ والله ولى التوفيق ،،

الأستاذ الدكتور

**حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله**

رئيس جامعة أم دِرْمَان الإسلامية (سابقا)

(١) ديوان الحقائق ج ١ ص ١٥٧ ـ ١٥٨.